١٠

قصيدة (تعلق قلبي) بين النَّحل والتحقيق

Poem (My Heart Is Attached) Between Bees and Investigation

الباحثة

م. د سندس قاسم عبدالله العزاوي

researcher

Dr. Sundus Qassem Abdullah Al-Azzawi

qzc5380@gmail. com

جامعة الفراهيدي/ كلية التربية – قسم اللغة العربية

Al Farahidi University/ College of Education

the department of Arabic language

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

المقدمة

إنَّ موضوع النحل والانتحال من الموضوعات المهمة التي أفاضت فيها المصادر الأدبية والنقدية، ونالت اهتماماً واسعاً من لدن الدارسين القدماء والمحدثين، ومن هنا فلن تستطيع البحوث الحديثة أنْ تضيف شيئاً في أصل الموضوع، ولكنها تستطيع أنْ تفيد من الأسس العلمية التي قام عليها موضوع النحل والانتحال في التحقيق بما نُسب لبعض الشعراء، مستهدية بالمعطيات السابقة. وبناء على ذلك يحاول بحثنا هذا أن يقرأ إحدى القصائد التي نُسبت لامرئ القيس، والتي أشار كثير من الباحثين إلى عدم صحة تلك النسبة، ولكن التشكيك بنسبتها اقتصر غالباً على مستوى الإشارة، فلم تجد القصيدة العناية المناسبة على مستوى الدراسات النقدية والتحقيقية لتصل إلى حدِّ القطع بصحة نسبتها أو عدم صحة تلك النسبة.

إنَّ القصيدة موضوع البحث هي ما تُعرف بقصيدة (تعلق قلبي). فيحاول هذا البحث أنْ يخضع القصيدة إلى مستويين من التدقيق؛ هما: المستوى النقلي. ففي هذا المستوى نحاول أنْ نتصمد روايات شعر امرئ القيس، على وفق ما ورد في أهم الدراسات الأدبية الحديثة، لنتبين كيفية وصول هذه القصيدة إلى الديوان، وفيما إذا كانت من ضمن رواياته الأصلية أم أنها ملحقة بالرواية. أما المستوى الآخر فهو المستوى الفني. ونحاول في هذا المستوى أنْ نخضع القصيدة إلى الدراسة الفنية من خلال موازنته مع سائر شعر امرئ القيس لنتبين الفروق التي بينها وبين ذلك الشعر.

Abstract

The issue of plagiarism is one of the important topics that literary and critical sources have elaborated on, and it has received wide attention from ancient and modern scholars, and from here, modern research will not be able to add anything to the origin of the subject, but it can benefit from the scientific foundations upon which the issue of plagiarism was investigating the attribution to some poets, guided by the previous data. Based on this, our research tries to read one of the poems attributed to Imru' al-Qays, which many researchers have indicated that this attribution is incorrect, but doubts about its attribution were mostly limited to the level of reference, The poem did not find the appropriate attention at the level of critical and investigative studies to reach the limit of the validity of its attribution or the incorrectness of that attribution

The poem in question is what is known as the poem (My Heart Is Attached / Ta'alq Kalby). This research attempts to subject the poem to two levels of scrutiny. They are: the spreading level. At this level, we try to hold on to the novels of Imru' al-Qays' poetry, according to what was mentioned in the most important modern literary studies, to show how this poem reached the Diwan, and whether it was among his original stories or the narrated ones that were attached to it. The other level is the technical level. At this level, we try to subject the poem to an artistic study by balancing it with the rest of Imru' al-Qays's poetry in order to discern the differences between that poem and the Diw

تمهيد

امرؤ القيس

امرؤ القيس هو لقب الشاعر العربي الجاهلي جُندج، وقيل: جُندح، وقيل: عَدي، وقيل مليكة: وابوه هو حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر الملقب بآكل المرار بن معاوية بن ثور.

كانت ولادته في (نجد)، بحسب تقديرات الباحثين حوالي عام (٥٠٠ م)، ونشأ في قبيلته، كندة، وقد لُقب بالملك الضليل، وذلك لأنه ملكٌ وابن ملك، ضلَّ من بعد رشد.

اشتُهر بلقب اُمْرُؤ القَيْس، وقد قيل إن القيس تعني الشدة، أو تعني غاية الجمال، هو شاعر عربي ذو مكانة رفيعة، بَرز إبَّان الجاهلية، ويُعد رأس شعراء العرب، وأحد أبرزهم في التاريخ[١].

مما تذكر المصادر أنَّ امرأ القيس أحبَّ نظم الشعر منذ نعومة اظفاره، مما اثار غضب والده، ودفعه الى منعه من الاهتمام بالشعر، إلى الحد الذي دعا إلى طرده؛ غير ان هذه التهديدات لم تكن لتقف في وجه نبوغه، وظل على هذا المنوال من اللهو والمجون الى أن بلغه مقتل والده على يد رجال من بني اسد وكان له من العمر حوالي ٣٠ سنة[٢].

توفي امرؤ القيس سنة ٥٤٠م وقيل ٥٦٠م، تاركاً وراءه تراثاً شعرياً ثرَّاً، وقد نال شعره عناية الباحثين والنقاد والقراء على حدٍّ سواء؛ «لانه كان شاعرا يعكس تجربة حيّـة، غير متكلفة ولا مصنوعة»[٣]. وينبغي هنا أنْ نضع في أذهاننا العبارة المتقدمة: «تجربة حيّـة، غير متكلفة ولا مصنوعة»[٤]، ونضع تحتها خطاً متميِّزاً؛ لأنَّها من الأسس المهمة التي لها شأن في بحث القصيدة المنسوبة لأمرئ القيس.

تذكر المصادر التي بحثت في شعر امرئ القيس أنه استطاع أن يطبع «في كل قصيدة من قصائده صوراً كثيرة من حياة البدو أنشدها على نسق واحد بديع مقبول، فإن تشبيهاته واستعاراته حسنة جداً، وأحسن صنعة في شعره هو وصفه جواده، فليس له في ذلك مثيل[٥]، وهو «اول من وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى»[٦].

---

(١) موسوعة شعراء العصر الجاهلي، عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠١م: ٣٥.

(٢) شعراء العرب وادباؤهم (من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي)، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية، ٢٠٠٧م: ١٠-١١. (وينبغي هنا أنْ ننبه إلى أنْ مسألة رفض والد امرئ القيس ربما تكون موضوعة، ذاك أننا كثيراً ما نقرأ عن أخبار احتفاء القبائل العربية بنبوغ شاعر، وحرصهم على وجود شاعر، فكيف تنسجم هذه الأخبار مع موقف والد امرئ القيس من الشعر)

(٣) موسوعة شعراء العصر الجاهلي: ٣٦

(٤) المصدر نفسه: ٣٦.

(٥) اشعار الشعراء الستة الجاهليين، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الاندلسي المعروف بالأعلم (ت٤٧٦هـ)، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، : ٢١.

(٦) شعراء العرب وادباؤهم من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، (موسوعة قصة وتاريخ، الحضارات العربية): ١١.

وينبغي التنبيه ابتداءً إلى أننا عمدنا إلى ابتداء البحث بالحديث عن اللقب الذي اشتهر به الشاعر، وعن نتفٍ من سيرته لأسباب؛ أهمها:

- هنالك الكثير من الشعراء ممن حمل لقب امرئ القيس، فقد ذكرت المصادر أنَّ سبعة من الشعراء تلقبوا بهذا اللقب[1]، وإنْ إيراده، مطلقاً من دون تقييد، قد يحدث التباساً لدى القارئ أو الباحث في التثبت من نسبة القصيدة، فقد ينصرف الذهن إلى أحد هؤلاء السبعة، وليس إلى شاعرنا .
- إن الغرض من إيراد نتفٍ من سيرته هو لبيان طبيعة حياته العربية الجاهلية، وهذا ينفعنا في تحليل القصيدة فيما بعد، فإنَّ فيها ما يتنافى مع الطبيعة العربية لأمرئ القيس.

المبحث الأول
(المستوى النقلي)

توطئة:

إنَّ أكثر ما يثير اهتمام الباحثين والمتخصصين في الأدب الجاهلي هو ما يتردد اليوم في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ولاسيما مواقع التواصل الاجتماعي، من ذكر قصائد أو أشعار متفرقة، ونسبتها إلى الشعراء بأسلوبٍ مطمئنٍّ، من دون التثبت من تلك النسبة، وكأنَّ الأمر محسومٌ، نقلاً وعقلاً، فكثيراً ما نقرأ عن قصيدة هزيلة ركيكة ينسبونها للأصمعي[2]، أو ينسبون إلى المتنبي أشعاراً فيها من الضعف البنيوي والمعنوي الشيء الكثير[3]، وقد تعدى الأمر إلى نسبة بعض القصائد لشعراء معاصرين، لم يسمعوا هم أنفسهم بها[4]. وأمام هذه التحديات الجسيمة لا يمكن للباحث المتخصص أن يقف مكتوف الأيدي، أو أنْ يسلم زمام العلم والأدب لمن هم ليسوا بأهله، أو أن يترك حبل المنهج على غارب الجهل، يعبث به أنصاف المتعلمين كيف يشاؤون، إلى أنْ نجد أنفسنا أمام كمٍّ هائل من الروايات الضعيفة التي تطمس معالم أدبنا الناصع، وشعرنا الذي شهدت له الأمم عبر عصوره الزاخرة . ومن هنا، ولأجل ما تقدم، أجدني ملزماً بالدفاع عن هذا الأدب من خلال محاولات تخليصه مما علق به من النَّحل، ومما نُسب إليه من أشعار ليست جديرة بأن تكون منه، وإنَّ من أهم تلك الأشعار المنسوبة قصيدة: (تعلق قلبي)، والتي بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً، إلى الحد الذي حدا بأهم مطربي العرب القيام بتلحينها وغنائها[5]. ولأجل الوصول إلى الحقائق لابدَّ من اتباع المنهج العلمي السليم، والذي من مقتضياته: البحث في مسألة النقل أولاً، ثم اتخاذ العناصر الفنية التي انطوى عليها شعر

(١) ينظر: موسوعة شعراء العصر الجاهلي: ٣٩ــ ٤١.

(٢) القصيدة المزعومة هي: صوت صفير البلبل.

(٣) كثيراً ما يتردد نسبة قصيدة مطلعها: لست أنساه

(٤) ما ينسب للجواهري من قصيدة في الهجاء السياسي، وهي عبارة عن كلام لا يمت إلى الشعر بصلة.

(٥) لحنها المطرب الكبير طلال مداح وغناها، وقد تبعته في ذلك المطربة اللبنانية هيام يونس.

امرئ القيس معياراً للموازنة بين هذه القصيدة وتلك الأشعار، وذلك بحسب المعطيات الفنية التي استقاها الباحثون من شعره الحقيقي، الذي أورده علماء العربية والأدب.

روايات ديوان امرئ القيس

ليس من شأن البحث هنا الخوض في مسألة (النحل والانتحال)، فقد أفاضت كثير من المصادر في الحديث عنها، ولكن ما نريد أن نشير إليه هنا هو أنَّ القصيدة لم تكن من الموضوعات المتنازع عليها في تلك المصادر، والسبب هو عدم إيرادها أصلاً في قضية الثبت من رواية الشعر الجاهلي، أو شعر امرئ القيس تحديداً، ولهذا سنستقي بعض المقتطفات المتعلقة بروايات ديوان الشاعر كما أوردها بعض الباحثين.

يشير الباحثون إلى أنَّ ديوان امرئ القيس: وصل بثلاث سبل على النحو الآتي:

ـ ما ذكرته المصادر العربية، وخاصة الفهرست لابن النديم في مواطن متفرقة عن روايات هذا الديوان[1].

ـ ما بقي مخطوطاً لم تذكره المصادر العربية، وعرفت عن طريق الرؤية والمشاهدة، لاعن طريق القراءة في المصادر، ولم يعثر من هذا السبيل إلا على روائيتين: رواية الطوسي وصنعة ابن النحاس وشرحه.

الإشارات التي ذكرتها الكتب عن الديوان ورواته.

إنَّ أهم روايات الديوان هي: رواية الأصمعي، ورواية المفضل الضبي، وهي الرواية التي اعتمدها أبو الحسن الطوسي أصلاً من أصول نسخته التي صنعها لديوان امرئ القيس فأورد في نسخته اثنتين وأربعين قصيدة ومقطعة ثم قال: هذا آخر رواية المفضل. ومن الأدلة على تلك الرواية أنَّ الأعلم الشنتمري بعد أن يورد رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي يورد قصائد متخيرات، مما لم يروِ أبو حاتم ورواه أبو عمر والمفضل وغيرهما. وهناك رواية ابن الإعرابي وقد ذكرها الطوسي أيضاً، وقد قال في نسخته بعد القصيدة التاسعة والثلاثين: إلى هاهنا قرأت على أبي عبد الله ابن الأعرابي ثم أورد بعد ذلك ثلاث قصائد، نُصَّ على أن ابن الأعرابي لم يعرفها، وفي الثانية على أنه قرأها على ابن الأعرابي، وعرفها وفي الثالثة على أنّ ابن الأعرابي لم يروها. وهنالك رواية أبي عبيدة، وهي مما ذكره الطوسي وابن النحاس أما الطوسي فقد ذكر رواية اليزيدي، ورواية ابن دريد. ويفيض مؤلف كتاب مصادر الشعر الجاهلي في الحديث عن الروايات، فيذكر أنَّ أهم موارد ديوان امرئ القيس ثلاثة هي:

الأصول:

فمن الأصول التي أخذت منها روايات الديوان: أصول بصرية وأصول كوفية.

روايات التلاميذ.

(١) الفهرست لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان. وقد ذكر: (الأصمعي. أبو عمر الشيباني. خالد بن كلثوم. محمد بن حبيب. ابن السكيت. السكري. أبو العباس الأحول): ٢٢٣.

ـ الروايات المجموعة[1].

ما يعنينا من إيراد الكلام عن هذه الروايات ما خلص إليه المؤلف من قول: « رأينا أن كل ما قدمنا عن نسخ ديوان امرئ القيس ورواياته أن الأصلين الأوليين والمصدرين الرئيسين اللذين اعتمدت عليهما هذه النسخ هما: روايتا الأصمعي البصري ورواية المفضل الكوفي. وإنَّ ماجاء في بعض النسخ من القصائد الزائدة على هاتين الروايتين فيما جمعه بعض الجامعين فقليل جداً منها ماهو مروي عن أبي عمرو الشيباني. أما الباقي فقد نص على كثير منه بأنه منحول لامرئ القيس وإنَّ صحت نسبته إلى فلان أو فلان من الشعراء [2]. وذكر القصائد التي وردت برواية الأصمعي على النحو الآتي:

(١ـ قفا نبك. ٢ـ ألا عمْ صباحاً. ٣ـ خليلي مرا بي على أم جندبِ. ٤ـ سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا. ٥ـ أعنِّي على برق أراه وميض ٦ـ غشيت ديار الحي بالبكرات. ٧ـ ألا إنَّ قوماً كنتمُ أمس دونهم. ٨ـ لمن طلل أبصرتُه فشجاني. ٩ـ قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفانِ. ١٠ـ دعنك نهباً صيح في حجراته. ١١ـ أراني موضعين لأمر غيبٍ. ١٢ـ أماويَّ هل لي عندكم من معرِّسٍ. ١٣ـ ألَمَّا على الربع القديم بعسعسا. ١٤ـ لعمرك ما قلبي إلى أهله بحرُ. ١٥ـ لمن الديار غشيتها بسحامِ. يا دار. ١٦ـ ماوية بالحائل. ١٧ـ ربُّ رام من بني ثعل. ١٨ـ ياهندُ لا تنكحي بوهةً. ١٩ـ ألا قبح الله البراجم كلها. ٢٠ـ إنَّ بني عوفٍ ابتنوا حسبا. ٢١ـ والله لا يذهبُ شيخي باطلاً. ٢٢ـ ألا ياالهف هندٍ إثرَ قومٍ. ٢٣ـ كأني إذ نزلتُ على المعلى. ٢٤ـ لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره. ٢٥ـ أبعد الحارث الملك ابن عمروٍ. ٢٦ـ ديمة هطلاء فيها وطف. ٢٧ـ أحارِ ترى بُريقاً هب وهناً)[3].

أما التي ذكرها المفضل ولم يوردها الأصمعي في روايته فهي:

(١ـ أحارِ بن عمرو كأني خَمِرْ. ٢ ــ ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطقِ. ٣ـ أمن ذكر سلمى أنْ نأتْكَ تنوص. ٤ـ تطاول ليلك بالأثمد. ٥ ـ عيناك دمعهما سجالُ. ٦. لا تسلمني ياربيعُ لهذه. ٧ ــ يا ثعلاً وأين مني بنو ثعل؟. ٨ـ أحللتُ رحلي في بني ثعل. ٩ـ ألا ياعينُ بكي لي شنينا. ١٠ـ عفا شطبٌ من أهله وغرورُ. ١١ـ إذا مالم تكن أبلٌ فمعزى. ١٢ــ أبعد زبدان أمسى قرقراً جلدا. ١٣ـ تنكرت ليلى عن الوصل. ١٤ـ أرى ناقة القيسي قد أصبحت. ١٥ ــ ولقد بعثتُ العنسَ ثم زجرتها. ١٦ــ أنى على استتبّ لومكما. ١٧ــ لعمري لقد بانت بحاجة ذي هوى. ١٨ـ أبلغ شهاباً وأبلغ عاصما. ١٩ــ ألا ابلغ بني حجر بني عمروٍ. ٢٠ ــ قد أتاني عن مرئ مالكٌ)[4].

(١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل بيروت، ط٨، ١٩٩٦م: ٤٨٦ــ ٤٩٣.

(٢) المصدر نفسه : ٥٠٦

(٣) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي: ٥١٥ــ ٥٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢١ــ ٥٢٥.

« وبذلك تكون قصائد امرئ القيس ومقطعاته في رواية المفضل بن محمد الضبي الكوفي أربعين قصيدة ومقطعة، اتفق هو والأصمعي على رواية عشرين منها وانفرد برواية العشرين الأخرى »[1].

التشكيك في الشعر الجاهلي

ليس التطرق لقضية التشكيك في الشعر الجاهلي هنا غرضه إعادةُ ما قيل من نفي أو إثبات صحة الشعر؛ بل للبحث عن مكان قصيدة (تعلق قلبي) من ذلك النزاع الذي وقع بين فريق المشككين في صحة نسبة الشعر والمعترضين على ذلك التشكيك، لاعتقادنا أنَّ وجود القصيدة في موضوعات النزاع قد يرجح من رأي القائلين بنسبتها، ولو كان ذلك الترجيح على سبيل النحل؛ لكننا وبعد البحث والتمحيص والتدقيق وجدنا أنَّ موضوع صحة رواية الشعر الجاهلي الذي ابتدأه طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي)، والذي حاول التشكيك في الشعر الجاهلي عموماً وفي شعر امرئ القيس خصوصاً لم تكن هذه القصيدة المزعومة من بين موضوعاته، فأهم ما جاء في الكتاب، وهو الجزء المتعلق بامرئ القيس قوله : « وإذا رأيت معنا أن كل هذا الشعر الذي يتصل بسيرة امرئ القيس إنما هو من عمل القصاص، فقد يصح أن نقف معك وقفة قصيرة عند هذا القسم الثاني من شعر امرئ القيس، وهو الذي يفسر سيرته ولا يتصل بها، ولعلَّ أحقَّ هذا الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان؛ الأولى: قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل. والثانية: ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي. فأما ماعدا هاتين القصيدتين، فالضعف فيه ظاهر، والاضطراب فيه بين والتكلف والإسفاف يكادان يلمسان باليد »[2].

ففي النص آنف الذكر شكك الدكتور طه حسين في الشعر الذي نقله الرواة الثقاة (والذين أوردنا أسماءهم بداية البحث)، وهو الشعر المعترف به لأمرئ القيس، فكيف تثبت له مثل هذه القصيدة الركيكة؟ .

تحدث الدكتور طه حسين عن قصيدتين هما: ألا انعم صباحاً. وقفا نبكِ، وقال بأن ثمة: « قصيدة ثالثة نجزم بأنها منحولة نحلاً وهي القصيدة البائية التي يقال إنَّ امرئ القيس أنشأها يخاصم بها علقمة بن عبد الفحل، وإن أم جندب زوج امرئ القيس قد غلبت علقمة على زوجها، وأنت تجد القصيدتين في ديوان امرئ القيس وديوان علقمة»[3]. ما عدا هاتين القصيدتين لم يذكر شيئاً مما قد يعلق في أذهاننا عن بصيص أمل قد يتعلق بنسبة القصيدة (موضوع

(١) المصدر نفسه: ٥٢٦.

(٢) في الأدب الجاهلي، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط٢، ٢٠١٢م: ١٧٢ــ ١٧٣.

(٣) يقصد قوله:

خليلي مرا بي على أم جندب

لنقضي لبانات الفؤاد المعذب.

وقصيدة علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب

ولم يك حقاً كل هذا التجنب.

في الأدب الجاهلي: ١٧٨.

بحثنا). ونجد أنَّ مما لا بأس به هو أنْ نشير إلى أنَّ ما أثاره طه حسين تصدى له الكثير من الباحثين المتخصصين في الشعر الجاهلي، فلعلَّنا نجد في كتب هذا الفريق ما يمكن أنْ نتخذه منطلقاً لترجيح نسبة القصيدة؛ غير أنَّ الالتفاتة لهذه المؤلفات لا تفقد جدواها في ترجيح كفة النسبة فحسب؛ بل تقوي كفة ترجيح النفي، إذا عرفنا أنَّ القصيدة لم تكن من بين ما اختلف عليه[1]، فلو كانت هذه القصيدة معروفة أو منسوبة لأمرئ القيس في ذلك الوقت لكانت هي الأولى بالتشنيع على الرواة من لدن طه حسين، الذي كان يتصيد السقطات والضعف وكل ما يستطيع بوساطته أن ينفي صحة شعر امرئ القيس.

ولعلنا نجد من المفيد أنَّ نعرِّج على ذكر طبعات ديوان امرئ القيس؛ إذ لا يفوت الدارس المختص أن ديوان الملك الضليل له طبعات كثيرة، أبرزها نشرة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، التي صدرت سنة ١٩٥٨م، وقد اعتمد فيها أوثق الروايات المعروفة، فجمع النسخ الخطية العتيقة، وصنفها بحسب رواتها، كالأصمعي والطوسي والسكري. وبعدما أكمل المقابلة والإشارة إلى الفروق والزيادات بين النسخ صنع ذيلاً بالأشعار التي لم ترد في النسخ الخطية، ووردت في المصادر العربية المطبوعة. فكان الظهور الأول لهذه القصيدة في ذلك الذيل[2]، فهي إذن ممَّا لم يكن في رواية الأصمعي أو المفضل.

ومما يثير الانتباه أن قصيدة (تعلق قلبي) لم ترد في أي نسخة خطية من الديوان، بل في أي كتاب عربي مخطوط، وحتى المصادر العربية المطبوعة، ولكنها وردت في كتاب اسمه (العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين) لمؤلف مجهول، وضعه قبل مئة سنة تقريباً! ولا نعرف مصادر هذا الكتاب، وليس هذا بمستغرب إذا كان الكتاب نفسه مجهول المؤلف، وقد وردت القصيدة تحت عنوان: « الشعر المنحول إلى امرئ القيس الكندي»[3]

وتكرر الأمر مع طبعة الديوان برواية السكري، التي صدرت عن مركز زايد للتراث في دولة الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٠م، وهي نشرة جيدة، وفي

(١) ينظر: المؤلفات التي ناقشت الدكتور طه حسين في بحثه للشعر الجاهلي:
نقد كتاب الشعر الجاهلي لـ محمد فريد وجدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.
الشهاب الراصد، محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م .
نقض كتاب في الشعر الجاهلي، سيد محمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوي ٢٠١٢.
محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، الشيخ محمد الخضري بك، مجلة القضاء الشرعي، السنة الرابعة.
النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م.

(٢) ينظر: ديوان امرئ القيس، عن رواية الأصمعي، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم طبع بمطابع دار المعارف: ٤٦٦ـ ٤٦٩.

(٣) ينظر: كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين، طبع في مدينة (غريفزولد) المحروسة، بالات، المدرسة الكلية الملكية، ١٨٩٩ سنة المسيحية ط١، في خزانة كتب السيد تروبنر الكتبي وأصحابه في سوق باتر توستر عدد ٨ ـ ٦٠ السنة ١٨٧٠ في لوندون).

آخرها مستدرك بالأشعار التي وردت في مصادر التراث العربي. وكان طريقهم في استدراك قصيدة (تعلق قلبي) مطابقاً تماماً لاستدراك الاستاذ أبي الفضل إبراهيم[1].

وبناء على ما تقدم فلا يوجد أي دليل نقلي على علاقة هذه القصيدة بامرئ القيس، بله الشعر الجاهلي. وإنما وضعها أحد المتحلين أو المغمورين في كتابه (العقد الثمين)، ثم تلقفها ضعاف اللغة والرواية والمحفوظ، وراحوا يتناقلونها كالببغاوات وينسبونها لأمرئ القيس من دون تثبت أو تصمد أو تمحيص.

ولعلَّنا نجد من المفيد هنا أنْ ننقل رأي الاستاذ عارف حجاوي في القصيدة إذ يقول:

وله قصيدة لا يصدق عاقل أنها قيلت في ذلك الزمن أصلاً؛ لكنها منسوبة إليه ومشهورة، وقد أوردنا منها قطعة صالحة « [2]. ويضيف:

« قالوا: قال امرؤ القيس:

وقبلتها تسعاً وتسعين قبلة وواحدة أخرى وكنت على عجلْ

فإنْ صدقت أنَّ هذا الشعر لأمرئ القيس، فلن تكذبني عندما أقول لك إنني شاهدت الفيل يطير بأذنيه مثلما يطير العصفور بجناحيه»[3].

المبحث الثاني
المستوى الفني

يحاول هذا المبحث أن يوازن بين قصيدة (تعلق قلبي) وشعر امرئ القيس متخذاً من العناصر الفنية ـ التي استقاها الباحثون من شعره ـ معياراً لهذه الموازنة، وذلك من أجل الوقوف على أهم الفرق بين هذه القصيدة وذلك الشعر. آخذين بنظر الاعتبار قول طه حسين الذي تقدم ذكره في المبحث الأول، والذي عَدَّ فيه قصيدتي: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، وقصيدة: ألا انعم صباحاً، أجود ما نقل من شعر امرئ القيس، فقد قال فيهما: « فأما ماعدا هاتين القصيدين، فالضعف فيه ظاهر، والاضطراب فيه بين، والتكلف والاسفاف يكادان يلمسان باليد «[4]. ومن هنا يمكن أن تكون هاتان القصيدتان هما المعيار الأول في الموازنة؛ بيد أنّنا نحاول الاستهداء بما سواهما، استكمالاً لمتطلبات الموازنة، متكلين على ما اعتمده الباحثون من شعر امرئ القيس بحسب الروايات المعتمدة. ونحاول فيما يأتي الوقوف على أهم مواضع القصيدة على النحو الآتي:

أولاً: المطلع

يرى النقاد القدامى والمحدثون أن علاقة مطالع القصائد في الشعر الجاهلي بموضوعات القصيدة

(١) ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق: د. أنور عليان أبو سويلم، ود. محمد علي الشوابكة، إصدار: مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠م: ٧٦٥ ـ ٧٦٧.

(٢) يُنظر: أول الشعر، عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، عارف حجاوي، دار المشرق، القاهرة، ط٢، ٢٠١٨م: ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٥.

(٤) في الأدب الجاهلي: ١٧٣

تقتصر على « الدلالة النفسية، فالشاعر الذي يمدح يكون غرضه الواضح هو كسب رضا الممدوح. . . فالمطلع داخل في هذا الإطار»[١]، بمعنى أن الشاعر إنما يهدف به إلى التهيئة للقصيدة، فأهم نماذج المطالع نجدها عند امرئ القيس[٢] وهو قوله:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالأطلال وسيلة يعبر فيها عما في داخله، [٣]، والطلل انعكاس للعلاقة القوية بالمكان الاليف وبيت الطفولة، وليست مجرد ظاهرة شعرية موروثة [٤]، وهي تصوير للصيرورة المحزنة التي تعجز فرداً كان او جماعة عن الإفلات من قبضتها[٥]، ولقد انتجت مخيلة الشعراء القدماء، صوراً عن المكان، يندر ان تجد لها مثيلاً في الآداب العالمية، فكانت الأطلال رمزية تدل على تعلق الشاعر بوطنه واصالة حبه ووفائه له[٦]. وبناء على ذلك نرى أنَّ موضوع الطلل في الشعر الجاهلي، وفي شعر امرئ القيس يمثل تهيئة نفسية لما يريد طرحه من موضوعات؛ إلا في هذه القصيدة المزعومة، فالطلل لم يأتِ تمثيلاً لشيء، فكأنَّه موضوعٌ يتدلى في فراغٍ؛ إذ لم يكن مقدمة لموضوع جدي، كما عهدنا ذلك في شعر امرئ القيس، وإنَّما كان تهيئة لموضوع هزلي عابرٍ هوو لقاء الشاعر بفتاة، وثم ماذا؟

الجواب: لاشيء بعد ذلك، فالقصيدة (موضوع بحثنا) تبدأ بمطلع:

لمن طللٌ بين الجُديَّة والجبلْ محلٌ قديمُ العهد طالتْ به الطول[٧]

ويستغرق هذا المطلع الطللي أربعة عشر بيتاً، قبل أنْ ينتقل إلى لوحة أخرى ليست كاللوحات المعهودة في قصائده، والتي غالباً ما تكون موضوعاً آخر جديداً، غير متعلقات الطلل؛ لكنَّ الموضوع الذي انتقل إليه في هذه القصيدة له تعلق كبير بموضوع الطلل، فهو بحسب التفاصيل التي أوردها في الأبيات يكون جزءاً من ذكرياته في ذلك الطلل؛ إذ يقول:

فلما عرفتُ الدار بعد توهمي

تكفكف دمعي فوق خديَ وانهمل

فقلت لها يا دار سلمى وما

الذي تمتعتِ لابدَّلتِ يادارُ بالبدلْ

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م: ٥١.

(٢) شعرية المطلع في المعلقات السبع، دراسة أسلوبية، حنان زواغي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٤م: ٣٢.

(٣) دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م: ١٢٣.

(٤) المقدمة الطللية في ضوء المقاربة الموضوعاتية (مقدمة معلقة امرئ القيس أنموذجا)، نبق الزهراء، بوزياني خالد، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، م٧، ع٢، ٢٠٢٢م، : ٣٠٧.

(٥) إشكالية المعنى في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني رمزية الليل انموذجا، د. شيماء محمد كاظم الزبيدي: ٨.

(٦) المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)، د. احسان محمود سليمان، مجلة البحث العلمي في الآداب (اللغات وآدابها)، ٢٠٢٠م: ٢٠٦.

(٧) ديوان امرئ القيس، أبو الفضل: ٤٦٦.

لقد طال ما أضحيتِ قفراً ومألفاً
ومنتظراً من حيّ من حلَّ أو رحلْ
ومأوى لأبكار حسانٍ أوانسٍ
وربَّ فتىً كاليث مشتهرٍ بطلْ
لقد كنت أسبي الغيد أمردَ ناشئاً
ويسبينني منهن بالدلِّ والمُقل[1]

ثم يورد من بين الذكريات تعلَّقه بِطَفلة عربية؛ إذ يقول:

تعلَّق قلبي طَفلة عربية
تنعَّمُ بالديباجِ والحَلْيِ والحُلل[2]

وهذا المطلع يثير بعض الملاحظات؛ أبرزها كما يأتي:

القصيدة تنطوي على وحدة موضوعية خلافاً لقصائد امرئ القيس، حيث بقاؤه على موضوع واحد في هذه القصيدة هو تذكر لقائه بفتاة. أما سائر القصائد فغالباً ما تنتقل إلى موضوع آخر يمثل غرض القصيدة، مما يدعونا لأنْ نعدَّ هذه القصيدة ذات وحدة موضوعية، وهو مالم نعهده في قصائد الشعر الجاهلي الطوال.

ــ يتبيَّن من خلال سرد تفاصيل الطلل وذكرياته أنَّ الفتاة المعنية في القصيدة، والتي مثلت الموضوع الأساس هي العنصر الأهم من عناصر الذكريات التي أثارها الطلل، وأنَّ له معها قصصاً معروفة بين الناس، ولكنَّنا نفاجأ فيما بعد أنَّه يتحدث عن فتاة كأنه لا يعرفها ولا يعرف أصلها، وكأنَّ صانع القصيدة نسيَ أنَّ تفاصيل الطلل توحي بأنَّ الفتاة موضوع القصيدة كان قد هيَّأ لها بوصفها أهم عناصر الذكرى التي أثارها الطلل، وسنبين هذا فيما بعد.

ثانياً: ما يتعلق بالمطلع أيضاً والانتقال إلى الغرض:

تبين فيما تقدَّم أنَّ الحديث عن الطلل يوحي بأنَّ الفتاة هي بطلة الذكريات التي أثارها الطلل، فلاشكَّ في أنَّها من إحدى القبائل العربية، فما الداعي لأنْ يذكر الشاعر أنَّها عربية، فهذه الإشارة تدلُّ على أنَّ الشاعر أمام خليط من أقوام مختلفة ميِّز العنصر العربي من بينهم من خلال الأوصاف التي تحوز عليها تلك الفتاة. إذن نحن أمام خلل فنيٍّ وقع فيه صانعو القصيدة، وهو الخلط بين أنْ تكون الفتاة من الذكريات، وهو ما توحي به الأبيات، وبين أن يكون قد صادفها في بلاد غير بلاد العرب فاعتقد بأنها عربية. يقول:

تعلق قلبي طَفلة عربية تنعَّمُ بالديباجِ والحلي والحلل

فهذه الانتقالة كأنها توحي بلقاء فتاة (مُصادفة)، مع أنَّ الأبيات التي سبقت هذه البيت توحي بأنَّ له ذكريات معها، وأنَّها هي سلمى التي تكرر ذكرها في أكثر من موضع في المطلع.

ثالثاً: اللغة

أهم ما يمكن أن يثار في هذا الصدد: احتواء

(١) المصدر ٤٦٦ــ ٤٦٧.
(٢) المصدر نفسه: ٤٦٧.

القصيدة على عبارات بلغة غير اللغة العربية، وتحديدا، اللغة الفارسية، و قد يقال: إنَّ الشاعر قال القصيدة في بلاد غير بلاد العرب، وإنه ليس من المستبعد أن يعرف لغة أخرى، وقد تحدثت بعض الدراسات عن تلك الرحلة، فيبدو من شعره انه سلك طريق الشام، وهو يمر على هذه المدن فيقول ذاكراً وطنه[1]:

لـــــقد انكرتني بعلبك وأهلـــــها ولابن جريج في قرى حمص انكرا

فمن الأمور التي ذكرها الشاعر في رحلته: مجده الضائع ومُلكه البائد، وقد حنَّ إلى بلاده، وشكا من الدهر[2]. ولم يُعرف عنه أنَّه قال شعراً بغير العربية في ذلك الشعر، وأهم ما يلاحظ في هذه القضية ما يأتي:

ــ تبين في حواره مع الفتاة بأنَّها رومية، فقد قال[3]:

فقالت أنا كندية عربية فقلت لها:

حاشا وكلا وهل وبل

فقَالت أَنَا رُومِيَّةٌ عَجَمِيَّة فقُلتُ لها

ورخِيز بِباخُوشَ مِن قُزَل

فقد أثبت الشاعر هنا أنَّ الفتاة رومية بحسب قولها، وهنا تحدث المفارقة؛ إذ كان قد ذكر سابقاً أنَّها عربية. مما يحدو بنا أنْ نعتقد بأنَّ القصيدة مصنوعة من لدن أكثر من شخص، وليست في وقت واحد أو متسلسل، وذلك للتناقض الكبير بين مواضعها المختلفة، وأنَّها أقرب للصناعة الفارسية، كما سنشير إلى ذلك بعد قليل .

ــ المفارقة الأخرى هي أنَّ لغة هذا الشطر هي لغة فارسية[4]، وليست رومية، ولاندري ما الداعي الذي حدا بالشاعر أنْ يخاطب فتاة رومية باللغة الفارسية!؟

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى ملاحظة مهمة مفادها:

إنَّ الخط الذي كتبت فيه المخطوطة الوحيدة التي اعتمدها جامع الديوان وألحقها بشعر امرئ القيس، والتي تعود إلى مؤلف مجهول، هو الفارسي، وقد وجدت في (خزانة كتب السيد تروبنر الكتبي وأصحابه في سوق باتر توستر رو عدد ٨ ــ ٦٠ السنة ١٨٧٠ في لوندون)

ما يتعلق باللغة أيضاً هو ما حازت عليه القصيدة من ألفاظ شديدة التقعُّر، والملفت للنظر هو كثرة هذه الألفاظ وتزاحمها في الأبيات، فإنْ قيل إنَّ شعر امرئ القيس لم يخلُ من الألفاظ المعجمية. نقول: نعم، ولكنَّ ورودها هنالك لم يكن بهذا التزاحم الذي يشي بأنَّ وضعها في هذه القصيدة مقصود لذاته، ولم تأتِ عفواً، أو بناء لمتطلبات الموضوع، فمن ذلك[5]:

(١) ديوانه، أبو الفضل: ٦٨.

(٢) مظاهر النوستالجيا في شعر إمرئ القيس، د. عزت ملا إبراهيمي، صديقة جعفري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع٣٨، ٢٠١٨م: ٢٧٣.

(٣) ديوانه، أبو الفضل: ٤٦٨.

(٤) ينظر: الآثار الفارسية في شعر امرئ القيس، د. نعيم محمد عبد الغني، رابطة أدباء الشام، ٢٠١٠م.

(٥) ديوانه: ٤٦٨.

وشنصل وشصنل ثم شصنل عشنصلٍ
على حاجبي سلمى بربن مع المعل

فضلاً عن أنَّ هذه الألفاظ تزاحمت في مواضع عديدة من المطلع والذي يليه، ثم خلت منها مقاطع أخرى، مما يقطع بالاعتقاد أنَّ القصيدة لم يضعها صانعٌ واحد، وإنما مجموعة من الصناع الذين تتفاوت درجات معرفتهم باللغة العربية.

إضف إلى ذلك تكرار بعض الألفاظ من دون أنْ يكون لها مقتضىً معنوي، من ذلك[1]:

ألا لا ألا إلَّا لآلئ لابثٍ ولا لا إلا إلا لآلئ من رحلْ

فكم كم و كم كم ثم كم وكمكمِ قطعت الفيافي والمهامه لم أمل

وكافٌ وكفكافٌ وكفي بكفها وكافي كفوف الودق من كفها انهمل

فلو لو ولو لو ثم لو لو ولو ولو دنا دار سلمى كنت أول من وصل

وفي في وفي في ثم في في وفي وفي وجنتي سلمى أقبِّلُ لم أملْ

وسلسل وسلسل ثم سلسل وسل وسل وسل دار سلمى والربوع فكم أسلْ

وقد آثرنا أنْ نذكر هذه الأبيات كاملة لكي نجريها على لسان القارئ الكريم ليتبين بنفسه أنَّ من قائل هذه الأبيات ليس بشاعر أصلا، وأنَّه قد أساء إلى الشعر، كما إساء إلى امرئ القيس بنسبة هذا الكلام المشوش إليه، فمن المعلوم إن امرؤ القيس هو من ارباب الذوق، فقد امتلك زمام اللغة[2]، ولهذا بالغ الرواة في الحمل عليه، فنسبوا له سخيف القول، والساقط الكلام، وما يجري مجرى الهذيان الممل، «وهذا المغفل الذي نحله هذه القصيدة جرى في بعضها على قياس قوله في القصيدة التي تروى له:

وسنٍّ كسنِّيقٍ سناء وسنّم ذعرتُ بمذلاج الهجير نهوض

ولعلَّ هذه الكمكمة من قول محمد بن مناذر البصيري في معنى التكثير[3] غير أن الناقد البصير يستطيع أن يتبين أسلوب امرئ القيس من قراءة قصيدتين أو ثلاث مما صح له، فيستخلص منها صفات شعره التي ميزته بالتقديم وجعلته أمير الشعراء وصاحب لوائهم[4].

الأخطاء المعنوية

ثمة التباس في قراءة لفظة (طفلة) فقد وردت في المخطوطة الأصلية المنسوبة لمجهول، والتي اعتمدها

(١) المصدر نفسه: ٤٦٨.

(٢) تحليل معلقة امرؤ القيس في العصر الجاهلي (البلاغة والرمزية)، ام عارفة كودورث، ٢٠١٩م: ٢٦.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ٣٩٠ــ ٤٥٦هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م: ج٢ ــ ٧٥.

(٤) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، : ١٥٠ـ ١٥١.

أبو الفضل (طِفلة) بكسر الطاء، وقد تركها أبو الفضل هملاً من دون تحريك لعدم قناعته بأنَّ المقصود حقيقة هي الطفلة عمراً؛ إذ أنَّ اللفظ بهذه الدلالة يفسد معنى القصيدة، فما تقدم من حديث الشاعر عن تلك الفتاة وقصصه المشهورة معها لا يدل على أنَّها في مرحلة الطفولة، ومن هنا يكون اللفظ الصحيح هو بفتح الطاء(طَفلة) والتي تعني، على وفق ما أوردته المعاجم: البنان الرَّخص، فقد أورد مؤلف لسان العرب : الطّفلُ بالفتح، الرخص الناعم، والجمع طِفال وطفول، والأنثى طفلة؛ قال الاعشى[1]:

رَخصةٌ طَفلةُ الأنامل ترتـــــــــــبٌّ
سخاماً تكفُّه بخلالِ

وذكر كذلك قول حميد[2]:

فلما كشفنَ اللبس عنه مسحنَهُ
بأطرافِ طَفلٍ زانَ غيلاً موشَّما[3]

وقد مثَّل ابن منظور لهذه اللفظة من أشعار العرب، وشعرائهم المعروفين، ما يغني في معرفة دلالة اللفظة؛ غير أنَّه لم يأتِ على ذكر بيت امرئ القيس في تلك الأمثلة، ويمكن لنا أنْ نتخذ من عدم ذكر ابن منظور لبيت امرئ القيس دليلاً إضافياً على عدم صحة نسبة القصيدة له؛ ذاك أنَّه لا يُعقل أن يفوت ابن منظور مثلُ هذا الشاهد، وهو اللساني الذي يجهد نفسه في تتبع معاني الألفاظ من خلال الشواهد الشعرية المعترف بها من لدن علماء اللغة، لو كانت هذه القصيدة معروفة في زمن تأليفه للسان العرب، وهذا ما يدعونا لأنْ نقطع بعدم معرفته لها في ذلك الوقت.

رابعاً: النزعة الدينية

يذكر الباحثون أنَّ الإشارات الدينية ربما كانت سبباً مباشراً من أسباب الشك في شعر امرئ القيس، فقد «تعرض الشاعر لكثير من المظاهر الدينية في عصره فرأينا إشارت إلى النصرانية وأخرى إلى الوثنية وثالثة إلى الحنيفية ورابعة تشابهت مع العصور الإسلامية»[4]، فإذا كانت تلك الإشارات سبباً للتشكيك في شعره الموثوق في الروايات المصمدة، فإنَّ هذه الإشارات من باب أولى أن تكون مدعاة للتشكيك في صحة نسبة هذه القصيدة، فمن ذلك ما

(١) ديوان الأعشى بيروت: ١٦٤، وقد ذكر البيت في تاج العروس من جواهر القاموس، الأمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، : ٤٣٣.

(٢) ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية ابي دؤاد الإيادي، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١م، : ١٤.

(٣) ينظر: لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٢٣٩٤ ـ ٢٣٩٦.

(٤) الإشارات الدينية في شعر امرئ القيس وأثرها في قضية الشعر المنحول، نادي حسن شحاتة، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، م٣، ع٢٩، ٢٠١٦م: (المستخلص). وينظر: الألفاظ والمعاني الموحية بالحضارة العربية في القصائد الجاهلية دراسة لغوية تحليلية، د. محمد جواد محمد سعيد الطريحي، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٠: ٢.

يذكره الشاعر في احد مواضعها، وهو قوله[1]:

لها مقلة لو أنها نظرت بها

إلى راهب قد صام لله وابتهلْ

لأصبح مفتوناً معنىً بحبها

كأنْ لم يصم لله يوماً ولم يُصلْ

وليس المثير في هذين البيتين لفظة راهب؛ إنما المثير هو إيراد تفاصيل العبادة من صوم وابتهال لله. فهذه الصورة أقلَّ ما يقال عنها أنَّها إسلامية، ومن ثم فليست بنا حاجة إلى مزيد من إثباتات لدحض فرية نسبة هذه القصيدة إلى امرئ القيس.

خامساً: الصورة الثقافية

لا يخفى على أحد أنّ معظم الشعر الجاهلي كان مرآة لقيم الحضارة العربية، وأنَّ العناصر الفنية والموضوعية التي استجاب لها الشعراء الجاهليون ووظفوها في خطابهم كانت تلك التي تخضع لتأثيرات الصحراء، وقد وجدت تلك التأثيرات طريقها إلى الشعر، فظل معبراً عن القيم التي تعكس ثقافة الصحراء[2]، والتي تُلمس فيها خشونة العيش والقوة والجفاء. أمَّا في هذه القصيدة فقد عكست ثقافة مختلفة، فيها من الدعة والراحة والترف مالم تعهده الحياة العربية آنذاك إلا في العصر العباسي والعصور اللاحقة.

أما ما يمكن أنْ نلاحظه فيما يتعلق بالجانب الثقافي هو محاولة ناظم القصيدة إبراز الجانب المعرفي والثقافي من خلال الحديث عن الأوصاف الجسمانية المميزة لبطلة القصيدة؛ إذ يقول[3]:

حجازية العينين مكية الحشا

عراقية الأطراف رومية الكفل

تهامية الأبدان عبسية اللمى

خزاعية الأسنان درية القبل

ففي الأبيات تفكيك لجسم الفتاة، وأعاده كلَّ جزء فيه إلى أصل معين، وهو ما لا يمكن أن يتوفر في إنسان واحد، ولكن الغرض هو إظهار المستوى الثقافي.

سادساً: لعبة الشطرنج

من يبحث عن أصول لعبة الشطرنج في التراث العربي فسيجد أنَّ وجود اللعبة وازدهارها كان في العصر العباسي، وقد قيل إنَّ الخليفة المكتفي بالله قرب لاعبي الشطرنج إليه وأدخلهم إلى دار الخلافة، ومنهم اللاعب الشهير أبو بكر الصولي، ويعد أحسن شطرنجي في زمانه وكان شاعراً أيضاً توفي سنة ٣٣٥هـ[4]. وقد ذكر ابن النديم أسماء الذين ألفوا في اللعب في الشطرنج كتباً؛ منهم: العدلي وله أول كتاب عمل في الشطرنج: النرد وأسبابها واللعب بها، ومنهم الرازي، فكان هو والعدلي يلعبان بين يدي المتوكل،

(١) ديوانه: ٤٦٧.

(٢) ينظر: الأنساق الثقافية للشعر الجاهلي (شعراء الحواضر أنموذجاً) بيداء ناصر زيارة، الجامعة المستنصرية كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م: ١٣٩.

(٣) ديوانه: ٤٦٨.

(٤) الشطرنج تارخاً وعلماً وفنّاً وأخلاقاً، رياض الحبيب، الحوار المتمدن، ٢٠١٠م.

وله كتاب لطيف في الشطرنج، ومنهم الصولي، وله كتاب الشطرنج، ومنهم اللجلاج، وله: منصوبات الشطرنج، ومنهم ابن الإقليدسي، وله: منصوبات الشطرنج[١].

وقد ذكر بعض الباحثين إشارات بديع الزمان الهمداني إلى الشطرنج في بعض مقاماته[٢]. وبذلك تكون لعبة الشطرنج جزءاً مهماً وحيوياً من مادة التراث العربي (العباسي). أما ما قبل؛ لاسيما العصر الجاهلي فلم أعثر على ما يشفي غليل الباحث بحيث يستطيع أن يقرَّ وجود اللعبة، ومن ثم تكون يقرُّ بقبولها في إحدى قصائد امرئ القيس. وقد جاء عن الشطرنج في هذه القصيدة قوله[٣]:

ولاعبتها الشطرنج خيلي ترادفت

ورُخّي عليها دار بالشاه بالعجل

فقلت وماهذا شطارة لاعبٍ

ولكنَّ قتل النفس بالفيل هو الأجل

فناصبتها منصوب بالفيل عاجلاً من اثنينِ في تسعٍ بسرعٍ فلم أملْ

وقد كان لعبي كلَّ دستٍ بقبلة

أقبل ثغراً كالهلال إذا أفلْ

فلو تأملنا الأبيات لوجدنا أنَّ القائل عارفٌ ليس فقط بأصول اللعب؛ بل بأسمائها، وأدواتها والمصطلحات الخاصة بها كـ (الخيل. والرخ. الشاه. الفيل. المناصبة. دست. . .)

وقد أشرنا إلى الكتب التي اعتنت بهذه المصطلحات وقد حددت ازدهار اللعبة في العصر العباسي.

سابعاً: الصورة الشعرية

إنَّ التطرق لموضوع الصورة الشعرية في شعر امرئ القيس هو للتنبيه إلى أنَّ صانعي هذه القصيدة حاولوا الإفادة من كيفية بناء الصورة الشعرية في سائر قصائده، وقد أفاض كثير من الباحثين في موضوع الصورة الشعرية عند امرئ القيس[٤].

فما يتعلق بصورة الطلل، فالقصيدة تبدأ بقوله:

لمن طلل بين الجدية والجبلْ؟

وهذا مأخوذ من قوله[٥]:

لمن طلل أبصرته فشجاني

(١) ينظر: الفهرست: ٢٢١ــ ٢٢٢.

(٢) الشطرنج في التراث العربي، زهير أحمد القيسي، وزارة الإعلام، بغداد، سلسلة دراسات، ١٩٧٧م : ١٠٣

(٣) ديوانه: ٤٦٨.

(٤) ينظر: الصورة الفنية (في التراث النقدي والشعري عند العرب)، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، : ٣٩٢. وينظر: الصورة الشعرية عند شعراء الصنعة في الجاهلية والإسلام، د. ياسر عبد الحسيب رضوان، شبكة الالوكة، : ٣. وينظر: جدلية الخفاء والتجلي، د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٥م، : ١٩. وينظر: السمات الحضارية في شعر امرئ القيس، مجدي خليف العوايدة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٧، : ٥٨ وينظر: المرأة في الشعر الجاهلي (دراسة عن شعر امرئ القيس)، عارف الرحمن الحكيم، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، ٢٠٠٧م، : ٥٧.

(٥) ديوانه: ٤٦٧

وقوله[1]:

ليالي أسبي الغانيات بجمة

معثكلة سوداء زينها رجلْ

وهذا مأخوذ من قوله:

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه

وأعين من أهوى إليَّ روان

وقوله[2]:

لها مقلة لو أنها نظرت بها

وهذه الصياغة شبيهة بقوله:

لها مزهر يعلو الخميس بصوته

أجش إذا ما حركته اليدانِ

ولو تفحصنا سائر أبيات القصيدة لوجدناها متشابهة مع كثير من شعره، على مستوى الصورة الشعرية أو الصياغة اللفظية والتركيبية، ولكننا آثرنا أن نكتفي بهذه النماذج لتكون دليلاً على ما نريد إثباته من صناعة القصيدة.

ثامناً: الأخطاء العروضية

انطوت هذه القصيدة على أخطاء عروضية في بعض أبياتها لابدَّ من الإشارة إليها، مادمنا في عمدنا إلى عرض القصيدة وتحليلها، فالأبيات التي وردت فيها الأخطاء العروضية هي:

قوله[3]:

عفا غير مرتاد ومر كسرحوب

ومنخفض نام تنكر واضمحل

وتقطيع الشطر الأول: (عفا غيـ: فعولن / رمرتادن: مفاعيلن / ومرر: فعولن / كسرحوبِ: مفاعيلن) فالتفعيلة الأخيرة ينبغي أن تكون (مفاعلن) ؛ لأنها واجبة القبض.

وقوله[4]:

فقالت أنا رومية عجَمية

فقلت لها ورخير بياخوش من قزلْ

تقطيع الشطر الثاني: (فقلتُ: فعولُ / لها ورخيـ: مفاعيلن / ر (بيا خوشِ): مفاعيلن، فالراء زائدة / من قزل: فاعلن)، وبهذا يكون الوزن مكسوراً في اللفظتين الأخيرتين.

وقوله[5]:

فقالت وما هذا شطارة لاعب

ولكن قتل النفس بالفيل هو الأجل

تقطيع الشطر الثاني: (ولكنْ: فعولن / نقتلننفـ: مفاعيلن / سبلفيـ: فعولن / لـ هو الأجل: اللام زائدة، هو الأجل : مفاعلن).

والذي نستنتجه من ورود هذه الأخطاء العروضية أمران؛ الأول: أنْ يكون صانع هذه الأبيات غير حاذق في العروض، والآخر: أنْ يكون حاذقاً في العروض، ولكنه آثر أنْ يتعمد هذه الأخطاء للإيهام بعدم التلاعب بالرواية كما وردت، ونحن نرجِّحُ

(١) المصدر نفسه: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤٦٨

(٥) ديوانه: ٤٦٨.

السبب الأخير، فذلك أدعى لأنْ يدخل في غاية بحثنا هذا، وهو القول بصناعة القصيدة.

تاسعاً: ربط ختام القصيدة بالمطلع

لو تفحصنا شعر امرئ القيس فإننا لن نعثر في خواتم قصائده ربطاً بالمطالع، فخاتمة معلقته كانت ببيت:

وألقى ببيسان مع الليل بركة

فأنزل منه العصم من كل منزل

وخاتمة: ألا عم صباحا أيها الطلل البالي، كانت:

وما المرء مادامت حشاشة نفسه

بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

أمَّ في هذه القصيدة فكانت الخاتمة على النحو الآتي:

وآخر قولي مثلما قلت أولاً

لمن طلل بين الجدية والجبلْ

ونستطيع أنْ نزعم أنَّ قراءة هذا البيت وتأمله كفيلان وحدهما بأنْ يدحضا نسبة القصيدة، وذلك من خلال الوقوف على إشارتين في البيت؛ الأولى قوله:

وآخر قولي مثلما قلتُ أولاً

والأخرى: إعادة الشطر الأول من مطلع القصيدة، وهو:

لمن طللٌ بين الجدية والجبل

فالشطران يوحيان بأنّ كل ما ورد في القصيدة لم يكن إلّا لغرض النظم، وأنَّ الناظم كانَ قاصداً إلى لعبة لفظية أكثر من قصده كتابة قصيدة ذي مضمون شعري حقيقي .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة المكثفة والمركزة في دراسة القصيدة المنسوبة لأمرئ القيس والمعروفة بـ (تعلق قلبي) نحاول أن نسجِّلَ فيما يأتي أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي من شأنها أنْ تدحض فكرة القبول بنسبة القصيدة للشاعر، ونلخص النتائج على النحو الآتي:

- لم يكن للقصيدة غرضٌ محدد، كما عُرف عن القصائد الجاهلية، وشعر امرئ القيس من احتوائهما على غرض يأتي بعد أنْ يفرغ الشاعر من الوقوف على الطلل.
- لم تحتوِ القصيدة على موضوعات متعددة كسائر القصائد الطوال التي انطوى عليها الشعر الجاهلي وشعر امرئ القيس، فقد اقتربت القصيدة من أنْ تكون ذات وحدة موضوعية، الأمر الذي لم يعهد في غيرها.
- ذِكْرُ الشاعر للفظة عربية من شأنه أنْ يبعث في نفس القارئ تساؤلات عن مكان إنشاء القصيدة، فمضمون القصيدة يشير إلى أنَّ مكانها بلاد العرب، فمن المنطقي أنْ تكون هذه الفتاة عربية، وعندئذٍ لا داعي لهذه الإشارة، وبما أنَّ الشاعر أشار إلى أنَّها عربية، فمعنى ذلك أنَّ الفتاة كانت تعيش مع أقوام من أصول مختلفة .
- ثمَّة تناقض بين إشارة الشاعر ابتداءً إلى أنّ

قلبه تعلق بفتاة عربية و سؤاله لها بعد حين عن أصلها، ثمّ تبين أنها رومية.

- التناقض الآخر الذي وقع فيه صانع القصيدة هو: أنَّ الأبيات الأولى تشير إلى أنَّ هذه الفتاة هي من النساء التي أثار الطلل ذكراهن في نفسه، وأنَّ له قصصاً معروفة معها، وبعد حين يتبَّن أنَّه وجدها مصادفة، وليس له معرفة سابقة بها، بدليل سؤاله عن أصلها
- انطواء القصيدة على لغة غير اللغة، وبالتحديد (الفارسية)، ولم تذكر المصادر أن امرأ القيس رحل إلى بلاد فارس؛ بل ذكرت أنه رحل إلى بلاد الروم، وقد تبين أنَّ الفتاة رومية، ومع ذلك حدَّثها بالفارسية!!!
- محاولة صانعو القصيدة إظهار الثقافات المتعددة من خلال تعداد الأوصاف الجسمية للنساء ونسبتها إلى أصول قبلية مختلفة.
- الزخارف اللفظية التي انطوت عليها القصيدة كانت شبيهة بنظم الشعر في العصور المتأخرة، ذلك الشعر الذي امتاز بالإغراق في الصنعة، مما يبعد الاعتقاد بأنَّ القصيدة تعود إلى لغة الشعر الجاهلي التي تمتاز بالبيان والفصاحة والإيجاز.
- لم يعرف عن امرئ القيس براعته في لعبة الشطرنج، غير أنَّ القصيدة أفردت أبياتاً لهذه اللعبة، مع ذكر المصطلحات الخاصة بها.
- وجود الأخطاء العروضية في القصيدة، وقد حاولنا ترجيح السبب في وجود هذه الأخطاء.
- لم يعهد عن امرئ القيس ربطه ختام قصائده بالمطالع، فهذا الربط فيه فذلكة وحذلقة صناعية شبيهة بالنظم في العصور المتأخرة، مما يقطع الشك باليقين في عدم صحة نسبة القصيدة إلى امرئ القيس.

المصادر

- الآثار الفارسية في شعر امرئ القيس، د. نعيم محمد عبد الغني، رابطة أدباء الشام، ٢٠١٠م.
- الإشارات الدينية في شعر امرئ القيس وأثرها في قضية الشعر المنحول، نادي حسن شحاتة، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، م٣، ع٢٩، ٢٠١٦م.
- اشعار الشعراء الستة الجاهليين، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الاندلسي المعروف بالاعلم (ت٤٧٦هـ)، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- إشكالية المعنى في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني رمزية الليل انموذجاً، د. شيماء محمد كاظم الزبيدي، كلية التربية للعلوم الأساسية، اللغة العربية، ٢٠١٥م.
- الألفاظ والمعاني الموحية بالحضارة العربية في القصائد الجاهلية دراسة لغوية تحليلية، د. محمد جواد محمد سعيد الطريحي، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٠.
- الأنساق الثقافية للشعر الجاهلي (شعراء الحواضر أنموذجاً) بيداء ناصر زيارة، الجامعة المستنصرية كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م.
- أول الشعر، عصارة الشعر الجاهلي

والإسلامي والأموي، عارف حجاوي، دار المشرق، القاهرة، ط٢، ٢٠١٨م.

• تاج العروس من جواهر القاموس، الأمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

• تحليل معلقة امرؤ القيس في العصر الجاهلي (البلاغة والرمزية)، ام عارفة كودورث، ٢٠١٩م.

• جدلية الخفاء والتجلي، د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٥م.

• دراسات في الشعر الجاهلي، يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م.

• ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق: د. أنور عليان أبو سويلم، ود. محمد علي الشوابكة، إصدار: مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠م.

• ديوان امرئ القيس، عن رواية الأصمعي، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم طبع بمطابع دار المعارف.

• ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية ابي دواد الإيادي، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١ هـ -١٩٥١م.

• السمات الحضارية في شعر امرئ القيس، مجدي خليف العوايدة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٧م.

• الشطرنج تارخاً وعلماً وفنّاً وأخلاقاً، رياض الحبيب، الحوار المتمدن، ٢٠١٠م.

• الشطرنج في التراث العربي، زهير أحمد القيسي، وزارة الإعلام، بغداد، سلسلة دراسات، ١٩٧٧م .

• شعراء العرب وادباؤهم (من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي)، موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية، ٢٠٠٧م

• شعراء العرب وادباؤهم من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، (موسوعة قصة وتاريخ، الحضارات العربية).

• شعرية المطلع في المعلقات السبع، دراسة أسلوبية، حنان زواغي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٤م.

• الشهاب الراصد، محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م .

• الصورة الشعرية عند شعراء الصنعة في الجاهلية والإسلام، د. ياسر عبد الحسيب رضوان، شبكة الالوكة.

• الصورة الفنية (في التراث النقدي والشعري عند العرب)، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

• العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ٣٩ـ

٤٥٦هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

• الفهرست لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان دت.

• في الأدب الجاهلي، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط٢، ٢٠١٢م

• كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين، طبع في مدينة (غريفزولد) المحروسة، بالات، المدرسة الكلية الملكية، ١٨٩٩ سنة المسيحية ط١، في خزانة كتب السيد تروبنر الكتبي وأصحابه في سوق باتر توستر عدد ٨ ــ ٦٠ السنة ١٨٧٠ في لوندون).

• لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .

• محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، الشيخ محمد الخضري بك، مجلة القضاء الشرعي، السنة الرابعة.

• المرأة في الشعر الجاهلي (دراسة عن شعر امرئ القيس)، عارف الرحمن الحكيم، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، ٢٠٠٧م.

• مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل بيروت، ط٨، ١٩٩٦م

.

• مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

• مظاهر النوستالجيا في شعر إمرئ القيس، د. عزت ملا إبراهيمي، صديقة جعفري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع٣٨، ٢٠١٨م.

• المقدمة الطللية في ضوء المقاربة الموضوعاتية (مقدمة معلقة امرئ القيس انموذجا)، نبق الزهراء، بوزياني خالد، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، م٧، ع٢، ٢٠٢٢م.

• المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)، د. احسان محمود سليمان، مجلة البحث العلمي في الآداب (اللغات وآدابها)، ٢٠٢٠م.

• موسوعة شعراء العصر الجاهلي، عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

• النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٧هـ ــ ١٩٢٩م.

• نقد كتاب الشعر الجاهلي لـ محمد فريد وجدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

• نقض كتاب في الشعر الجاهلي، سيد محمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوي ٢٠١٢.